الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

# اللقاء الأسمى

## ماذا أعددت لموعدك مع اللّه؟

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY
unicef
UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
GenEx
Generational Education Exchange
تمكين TAMKEEN
UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK
AMIEF
American International Education Federation

**د. خميس بن عبيد العجمي**
رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

في لحظة صمت قبل الفجر، لحظة يخيّم السّكون فيها على العالم وتتوقّف عقارب الساعة عن دقّاتها المألوفة، يقف رجل أمام مرآة قديمة في غرفته المعتمة، بشعره الأبيض وتجاعيد وجهه التي تحكي قصة ما يزيد عن سبعين عاماً من الحياة، يحدّق في انعكاس صورته بعينين متعبتين، ويسأل نفسه بصوت مرتجف:

"إذا جاءني الموت الآن... ماذا سأحمل معي؟"

هو لا يبحث عن إجابة في الخزائن المملوءة بالأموال، ولا في الشهادات المعلقة على الجدران، ولا في ألبومات الصور التي تضمّ ذكريات عقود مضت، هو يبحث في شيء أعمق... يبحث في ركن منزوٍ من روحه، هناك حيث تتراكم أعماله الحقيقيّة، حيث تنتظر أفعاله الصامتة وكلماته المنسيّة وخلواته مع خالقه.

فما سبق من مشهد، ليس خيالاً أدبيًّا، وليس شيئاً مستحيلاً، بل هو واقع كلّ منّا يوماً ما، ففي تلك اللحظة الحاسمة حين نقف على عتبة الرحيل، تصبح الأقنعة التي ارتديناها بأكملها مجرّد غبار، وتبقى حقيقة واحدة صارخة:

ماذا أعددنا للقاء اللّٰه؟

ففي عالمنا المحموم الذي يركض خلف السراب، حيث النجاح يُقاس بالأرقام والشهرة، نتناسى أنّ هنالك رحلة تنتظرنا، رحلة لن نحتاج فيها إلى جوازات سفرنا أو تذاكر طيران، بل إلى زاد من نوع مختلف تماماً، رحلة بدايتها نداء إلى الوجهة الأخيرة، نداء يخترق بصداه جدران الزمن، ليتجاوز حدود المكان، ويصل إلى جوهر الوجود الإنساني، فالموعد الذي لا مفرّ منه آتٍ لا محالة، والحقيقة التي تجمع البشر جميعاً تحت سقف واحد من اليقين واقعة لا ريب فيها، متمثّلة في قول اللّٰه تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾، (آل عمران:185)



ARAB-PSF.COM

ففي لحظات الصفاء، عندما تهدأ ضوضاء الحياة ويخفت صخب الدنيا، يطفو ذاك السؤال على سطح الوعي، لا مارّاً مرور الكرام، ولا مؤقتاً سلساً، إنّما هو سؤال أزليّ الأثر والتأثير، سؤال يختزل عمر الإنسان كلّه في لحظة واحدة من المصارحة مع الذّات، سؤال يحتّم على الروح أنْ تعترف بوضوح طريقها، ولو تاهت في متاهات الحياة، ففيه تبثّ منمنمات الحقّ التي تشدّ الروح شوقاً إلى نورها الأصلي، إلى النفس الإلهي الذي نفخه اللّٰه فيها يوم خلقها، فعندما تتذكر الروح هذا الموعد العظيم، ترتعش خوفاً من التقصير، وشوقاً للقاء الحبيب الأعظم، وذلك ببداية مفادها :

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ( المطففين:6)

ففي هذه الآية تتجلّى العدالة الكونية المطلقة، فالملك والفقير، العالم والجاهل، القوي والضعيف، كلّهم سيذوقون الكأس ذاته، إلاّ أنّ الفرق، كلّ الفرق، في طعم هذه الكأس، فمن أعدّ لها زاداً من التقوى والعمل الصالح والإيمان، وجدها عذبة المذاق، فاتحة أبواب الرحمة، ومن أهملها، وجدها مرّة المذاق، مليئة بالندم على ما فات.

فالإيمان ليس كلمة تُقال أو شعاراً يُرفع، بل هو بذرة تُزرع في القلب برحمة من اللّٰه ولطفه، تحتاج لرعاية بالذّكر والمعرفة والعمل الصالح لتنمو وتؤتي ثمارها خير إيتاء، فعندما تنمو هذه البذرة، يتعمّق اليقين والطمأنينة في القلب، وتترسّخ المحبة الإلهيّة، وهذا الإيمان الحيّ، النّابض بالحياة، هو الذي يجعل العبد يقف بين يدي ربّه وقفة المحب الواثق، لا وقفة الخائف المذعور، فهو الزّاد الذي لا ينضب، والنّور الذي لا ينطفئ، والرفيق الذي لا يخون في أحلك الظروف، فقد استوجب أنْ يرتبط الإيمان بالإخلاص، لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ( البينة:5)



ARAB-PSF.COM

فالإخلاص هو روح العبادة، وبدونه تصبح العبادة مجرّد حركات فارغة من المعنى، فالإخلاص هو أنْ تعبد اللّٰه كأنّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك، وهو أنْ تجعل سرّك وعلانيتك سواء، وأنْ تكون مع اللّٰه في كلّ أحوالك، وأنْ تكون أعمالك الصالحة رسالة حبّ صامتة ترسلها الروح إلى خالقها، فتصبح الصلاة همسة صدق مع اللّٰه في جوف الليل، وقراءة القرآن حوار بين العبد وخالقه يسمع بها الإنسان ما يريد اللّٰه قوله له، والصيام مجاهدة وإحساس بالآخرين وتدريب للنّفس على طاعة اللّٰه، والصدقة يد تخفّف ألم المحتاج، وبرّ الوالدين قلب يرقّ لمن أحسن إليه، وصلة الرحم جسور محبة تصل القلوب ببعضها، فتخرج هذه الأعمال وغيرها عن كونها واجبات تُؤدّى، لتصبح لحظات سموّ تعيشها الروح، وأعمال كبرت أم صغرت يجازى بخيرها في الدنيا قبل الآخرة، فيقول اللّٰه تعالى:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:7)، وهنا قمّة العدالة وعظمة الإكرام، فمن أصغر الأعمال كابتسامة بسيطة في وجه الآخرين، وكلمة طيبة نقولها، ونظرة حانية ننظرها لطفل يتيم، كلّها محفوظة في ميزان اللّٰه، مضاعفة بفضله وكرمه ورحمته.

ثمّ إنّ الإيمان والإخلاص، مقرونان بالتوبة، ولا يقصد بها استغفار باللسان وحسب، بل هي ثورة في أعماق النفس، وانقلاب جذري في مسار الحياة، فهي الولادة الثانية للإنسان، ففيها موت الإنسان القديم المثقل بالذنوب، وولادة إنسان جديد طاهر القلب، نقيّ الروح، فعندما يتوب العبد توبة نصوحاً، يشعر وي ْكأنّ أحمالاً ثقيلة قد سقطت عن كاهله، وأنّ قيوداً حديدية قد تكسّرت من حوله، فيشعر بخفّة في الروح، وانشراح في الصدر، وطمأنينة في القلب، وهذا هو معنى الحرية الحقيقيّة، حريّة الرّوح من أثقال الذنوب وأغلال المعاصي، إذ يقول اللّٰه تعالى في محكم كتابه العزيز:﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:53).



ARAB-PSF.COM

ومن ثمّ فإنّ الأخلاق هي الإطار الذي يؤطّر تعاملات الإنسان مع غيره ومع الخالق، فهي ما يعكس حقيقة الإنسان الداخليّة، فحتّى لو استطاع الإنسان أنْ يخفي ما في قلبه لفترة، فإنّ أخلاقه ستكشف عن طبيعته الحقيقيّة عاجلاً أم آجلاً، وحسن خلقه لن يكون تصنّعاً أو تكلّفاً، وسيكون نتاجاً لقلب امتلأ بمحبة اللّٰه ومعرفته، فعندما يمتلئ القلب بنور الإيمان، ينعكس هذا النّور في التّعامل مع الناس، والصّبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند المقدرة، والتواضع عند القوة، ففي قول رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: "اتّق اللّٰه حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" ، وصية جامعة لكلّ معاني الكمال الإنساني من تقوى مع اللّٰه، ومحاسبة للنفس، وإحسان للناس.

ويأتي اللقاء مع خالق الكون، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا مناصب، ولكن يتطلّب أنْ يأتي الإنسان بقلب سليم، طاهر وصافٍ، خالص من أمراض القلوب، كالحقد والحسد والكبر والرياء، ممتلئ بحبّ اللّٰه وحبّ الخير للناس، فهذا القلب النقيّ هو الكنز الحقيقيّ الذي سيحمله الإنسان معه إلى الآخرة، ولا شيء سواه، فيقول اللّٰه تعالى:﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الشعراء:89)، فهو يوم يتساوى فيه الأغنياء والفقراء، الملوك والرعايا، ولا يبقى إلا معيار صحة القلب ونقائه.

وعلى الرغم من ظنّ النّاس بأنّ الاستعداد للقاء اللّٰه هو جهد ورحلة فردية معزولة، فإنّ واقع الأمر بأنّ هذه الرحلة هي مشروع جماعي يشارك فيه المجتمع بأكمله، فعندما يستعدّ الأفراد لموعدهم مع اللّٰه، ينعكس هذا الاستعداد على المجتمع، فيصبح مجتمعاً متحضّراً يسود فيه العدل والرحمة والتكافل ومخافة اللّٰه، ففي البيت المسلم الذي يستعدّ أهله للقاء اللّٰه، تجد الرحمة تغمر علاقة الزوجين، والحنان ينتشر بين الأطفال، والاحترام يحيط بالكبار، وعندما تمتدّ هذه الأخلاق إلى المجتمع بما فيه من أفراد ومؤسّسات، يتحوّل المجتمع بأكمله إلى أسرة كبيرة متماسكة، يهتمّ كلّ فرد فيها بأخيه، ويستشعر بمسؤوليته تجاه الجميع. [4]

ARAB-PSF.COM

والآن، لم يتبقَ إلاّ الوقت، فهو أثمن هدية أهداها اللّٰه للإنسان، وأخطر أمانة حملها، فكل نفَس يتنفسه الإنسان، وكلّ لحظة يعيشها، هي فرصة ذهبية للاستعداد للموعد العظيم، فقد استوجب أنْ يستغلّ الإنسان الوقت في طاعة اللّٰه كنوع من الشكر على النعمة، وإلاّ فإنّ ضياعه منه ستكون نقمة عليه، فكم من أناس ناموا ولم يستيقظوا؟ وكم من أصحّاء أصبحوا مرضى؟ فالحياة قطار سريع، والعاقل هو من يستثمر كلّ لحظة في حياته، فيجعل من صباحه عبادة، ومن عمله جهاداً، ومن راحته تأمّلاً، ومن نومه استعداداً ليوم جديد من الطاعة والعمل الصالح.

فالاستعداد للقاء اللّٰه ليس مهمة تُنجز مرة واحدة، بل هو رحلة مستمرة تدوم مع النفَس الأخير في الحياة، وكل يوم هو بداية جديدة، وكلّ صباح هو فرصة أخرى، وكلّ لحظة توبة هي ولادة جديدة، وهنا رحلة طويلة تحتاج إلى صبر وإصرار وجهاد ويقين، وتحتاج إلى قلب لا يكلّ، وعزيمة لا تنكسر، وأمل لا ينقطع، وثقة مطلقة في رحمة اللّٰه وكرمه.

وبعد،

فقد استوجب استحضار سؤال "ماذا أعددنا لموعدنا مع اللّٰه؟" لذواتنا دوماً، وليكن الجواب بالاستعداد لهذا الموعد لا ككلمة تقال، ولا كعاطفة تستحضر للحظات وفي مناسبات، فهو مسيرة حياة، وجهاد مع النفس، واختيارات يومية بين الحق والباطل، بين الطاعة والمعصية، بين الاستعداد والإهمال، وهو عمل كلّ ما يرضي الرحمن، وينجّينا في ذلك اليوم العظيم، يوم نقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ (المؤمنون: 99-100).



ARAB-PSF.COM

فاليوم هو الفرصة.. وهو البداية، واللحظة الحالية هي نقطة الانطلاق، فلا تنتظر الغد، فقد لا يأتي، ابدأ الآن، من حيث أنت، بما تستطيع، فأنت تتّجه نحو موعد ليس كمواعيد الدنيا، موعد لا يمكن أنْ ننساه أو نؤجّله، فلا تسويف، ولا وقت للانشغال بما يفنى عمّا يبقى، فلا تنتظر الموعد لتتوب وتتجهّز، بل تُبْ وانتظر، فلربما أتاك موعد اللقاء بغتة.

وفي النهاية لا يبقى إلا الدعاء..

فكلّنا عباد للّٰه، نخطئ ونصيب، نقوى ونضعف، نتذكّر وننسى، وما يجمعنا هو احتياجنا جميعاً لرحمة اللّٰه التي وسعت كلّ شيء، فكلّنا عيوب لولا ستر اللّٰه علينا...

فاللهم لا ترفع عنّا سترك... فرحمتك وسترك ظلّنا، دونهما لفضَحَتنا ذنوبنا وعيوبنا...

ولا تنسنا ذكرك... فذكرك نور قلوبنا، نتيه دونه في ظلمات النفس والهوى...

ولا تجعلنا مع القوم الغافلين... فالغفلة أخطر الأمراض، بسببها تقتل روحنا ونحن لا نشعر...

اللهم آمين.



ARAB-PSF.COM